الحداثة والمعاصرة والتحديث(في الأدب العربي)

الحداثــة هي الثورة على كل مفاهيم القيم الإنسانية والفكرية والسياسية وحتى الأدبية فهي رؤية للتغير الاجتماعي والفكري الذي أحدثه الزمن على اختلاف عصوره .

المعاصرة : تعني التمرد على الواقع بكل جبهاته السياسية والاجتماعية والفكرية مفهومين خطيرين امتدا إلى الأدب العربي المعاصر ، ليخلقا نوعا من التمرد أقوى بخطورته من العولمة والماركسية والرأسمالية في تأثيراته ، فالكاتب هنا يزرع أفكاره السوداوية أو أفكاره التحررية أو المنقلبة على الوضع الاجتماعي عبر ما يكتبه من شعر أو راويه أو نص نثري .

جذور الحداثة

ظهرت جذور الحداثة في أواخر القرن التاسع عشر ، ونهضت في العصور الأوروبية التي كانت عبارة عن امتدادات لتيارات فكريه وأيدلوجيه وأدبيه متعاقبة ،فالفرد كان منقسما ما بين ولاء للكنيسة وما بين انسلاخ بينه وبين المجتمع ،الذي رفض إعطاءه حُرية التعبير الفكري والسياسي والاجتماعي ، لتكون كافة المذاهب والأفكار تنصب في مصلحة الولاء إلى الكنيسة والدين ،انبثقت بعض الاتجاهات للأدباء في هذه الفترة تدعو إلى التمرد على قيم المسيحية هذه التيارات التي كانت تنادي بالانسلاخ عن الدين والكنيسة ، وكانت تنادي بانسلاخ المجتمع عن الكنيسة ,أحدث هذا الأمر فجوه بين الفرد ومجتمعه وخلق نوعا من التضارب في النفسية والولاء والمشاعر وأصبحت الكتابات الأدبية والشعرية بلا قيود أو رقابه ،ثار الفرد على قيم المجتمع وصنع ما يسمى بالحداثة الفكرية والإنسانية ليخرج من أجواء الكنيسة التي قيدته أزمانا طويلا، خرج بعض الكتاب والأدباء الذين نادوا بتيارات جديدة من الفكر الأدبي ، كالتيار الرومانسي ،الذي قدس الذات ورفض الواقع وثار على العادات والشرائع الذي أدعى أنها هي أساس فساد المجتمعات ،ظهرت بعض الكتابات التي نادت بالثورة على الكنسية وبالثورة على قيم المجتمع والتي حللت كل نقائض الفكر المتحفظ ليصبح الإلحاد فكرا أدبيا مسموحا به ، ولتصبح الرذيلة فكرا مسوقا .

اختلطت هذه الثقافات الغربية مع ألأدب العربي المعاصر ، كثقافات غربيه قدمت إلينا في عصور التحرر وغيره ، عبر بعض الكتاب الذين نهلوا الكثير من هذه الروافد الأدبية في دول الغرب .

فالتمرد على صناعة الأدب كان سمة العصور السابقة ، ليسافر الكاتب محلقا بخياله بعيدا عن أرض الواقع ،ليخلق نمطا جديدا من الأدب وان التزم بعض الكتاب في الواقعية بكتاباتهم .

وهنا لابد من الوقوف وقفه جادة ، فالأدب العربي المعاصر انبثق كنوع من الأدب الذي دعا إلى التحديث وليس إلى الحداثة والانقلاب على الواقع ككل بكل قيمه وفكره ، وأن وجدت بعض الكتابات التي كانت تخرج عن هذا الإطار إلا أنها بقيت أفكارا أدبيه مشبعه بثورة الأدب الغربي المعاصر لبعض شعراء المهجر .

فالفكر الأدبي يرتبط مع التحديث ويتعارض مع الحداثة ،التحديث في قوالب اللغة على اعتبار إن اللغة هي جسر الفكر الحقيقي ، فالبحث عن أساليب مبتكره وجديدة لابتكار مفردات في الأدب أدت إلى تنوع (النصوص المقدمة و(ابتكار روح الحياة في هذه النصوص) ، كما ظهر ما يمسى بالشعر الحر ، وغابت القافية والتفعيلة المنتظمة التي كانت تقيد الشاعر بنمط معين من الأوزان في الشعر العربي القديم .

ومع تطور اللغة أصبحت الكلاسيكية لا تنتمي إلى روح عصرنا، وأصبح الكتاب بحاجة إلى تطوير اللغة لتتناسب وروح العصر الحديث ، من حيث طريقه الكتابة والتراكيب .

الأدب العربي المعاصر امتاز بالبساطة والبعد عن الزخرفة والتكلف والإطناب في الكلام ، فالبساطة في التراكيب كان سمة العصر الحديث ، فالكاتب بحاجة إلى عين ثاقبة حاسة للإيقاع ، والقارئ المحترف سيحلق مع خيال الكاتب ، ليكون ناقدا ماهرا
فالبساطة تطلبت استخدام المفردات التي تحاكي العقل ،قبل أن تحاكي العاطفة ،فأهم سمات الأدب الحديث إلا ينزوي الكاتب خلف قناع مزيف ، بل عليه أن يتكلم بلا تكلف تاركا نفسه تتحدث على سجيتها .

فالكاتب هنا كان الخط الفاصل بين الحقيقة والخيال السرد الواقعي يمثل نوعا من التواطؤ بين واقع الكاتب وبين كتاباته فهو لن يستطيع أن يمثل الواقع سوداويا ولا إن يمثله مليئا بالمثل والقيم ،إظهار الواقع (ظالما ومظلوما) وتمثيل القيم على أساس أنها(غليظة ورقيقه)
خلق جسرا متأرجحا بين الكاتب والقارئ فثمة قارئ محترف سيحلق مع خيال الكاتب ، هذا الخيال الذي سيشعره بالإحباط أن كان مليئا بالفشل وسيشعره بالبرود أن كان مليئا بالانجازات والمثل .

فالكاتب هنا مضطرا إلى التواطؤ مع الواقع ، فالكاتب المحايد خرافة تنتمي إلى عصور قديمه لم تبدأ بعد .

والتأرجح بين القطبين سمة تميز الكاتب القدير عن غيره ، فالقارئ لديه تصور كامل حول طبيعة ما سيقرؤه ، ليكتشف أدق الخبايا التي حاول الكاتب إخفاءها وراء خياله ليحذف العديد من التفاصيل ويضيف العديد من التفاصيل وصولا إلى الهدف المرجو والمشهد المطلوب .

فالكاتب ما هو إلا كاتب وناقد وقارئ لتفاصيل ما يكتب ، وهو ناقد محترف يعيد ترتيب التفاصيل ، يضخم السعادة حينا ويضخم الألم حينا أخر ، لسرد منطقي لكل من الأحلام والمعاناة .

فالتحديث والتخيل بهارات لفظيه تجعل القارئ محترفا في الغوص في الرواية ، أو القصيدة الشعرية .

والتحديث في الأدب هو حلقة الوصل التي ربطت هذه المذاهب الفكرية و الأدبية في سياق نهضة حافظت على التنوع وحافظت على أصالة الحرف واللغة المستمدة من واقع حياة تسودها بعض الأحلام المكسوة بالخيال.

وان كانت بعض الغزوات تهدد اللغة العربية وتهدد واقع الكتاب السردي لدخول
الحداثة بمفاهيمها المتناقضة لتغزو مفاهيمنا وقيمنا الفكرية والإنسانية
صورة العضو الشخصية
أميره الكلمات

برغم المباحث الكثيرة التي تناولت موضوع الحداثة في الأدب العربي المعاصر إلا أن إشكالية الحداثة لا زالت تحت المجهر لما لها من تأثير مباشر على الثقافة الإسلامية و العربية على حد السواء، و مما تفتقت عنه هذه الإشكالية التباين الواضح في الآراء ما بين مؤيد لها و معارض، و هذا الاختلاف الواضح كان نتيجة حتمية لنقل المصطلح من الغرب دون إعادة صياغة تتلاءم مع معتقداتنا و تقاليدنا الإسلامية و العربية.

فالحداثة اصطلاحاً و مفهوماً عاماً هي منهجاً و فكراً يشمل جميع مناحي الحياة و يقوم هذا الفكر على التمرد على كل القيم و المعتقدات، و هي في الأدب لا تعترف بأي قيود أخلاقية أو عَقدية فالذين تبنوا الفكر الحداثي يهتمون بالجنس الأدبي أياً كان من حيث الشكل و النواحي الفنية به بغض النظر عما يحمله من أفكار قد تتنافى مع العقائد و الشرائع و الأخلاقيات.
و هذا ما جعل دعاة الدين الإسلامي يتصدون لهذا الفكر الهدام الوافد إلينا من الثقافة الغربية مما نتج عن هذا التصدي إشكالية أخرى و هي محاربة العامة لكل ما يحمل شكلا جديداً يخرج عن الشكل التقليدي للأدب الموروث حتى و إن لم يحمل بين طياته ما يتنافى مع العقيدة و التقاليد. و في اعتقادي أن هذه المشكلات نشأت من عدم الاهتمام بإعادة صياغة المصطلح أو المفهوم بما يتناسب مع الأدب العربي و الإسلامي منذ بداية وفوده علينا من الأدب الغربي و الذي تم محاكاته و تقليده تقليداً أعمى مما أحدث اللبس الواضح و الخلط بين مفهوم (الحداثة) و بين مفهوم (التحديث).

و يمكن البدء بمناقشة مفهوم الحداثة و نشأتها و متى انتقلت للأدب العربي و كذلك الآراء المتباينة بشأنه ثم استخلاص أولاً تعريف و تسمية تتناسب مع الأدب العربي.